( أهمية الأمن وخطر الخوارج ) خطبة جمعة

عباد الله /

من المطالب العظيمة التي اجتمع عليها عقلاء البشر ، وأتباع جميع الأديان ، واتفقت كلمتهم عليه هو حصول الأمن في الوطن .

فبه تطيب الحياة ، ومنه تستمد الراحة ، وعلى أثره يكون الإنتاج .

ولمّا كان الإسلام دين الكمال والصلاح للبشرية فقد جاء لإصلاح الحياتين ، حياة الدنيا والآخرة .

و جاء التشديد على حفظه ، والإرشاد إلى رعايته ، والسعي لتكميله .

ولأننا أمة عظيمة ، وكمال هذه الشريعة لا يبلغه دين كانت النصوص الراعية لهذا الأمر وهذه القضية لا تُحصى كثرة ، والدلائل على أهمية متنوعة .

بالأمن يا عباد الله /

يقيم الناس دينهم فتُقام الجمع والجماعات ، وتُؤدى الشعائر العظيمة كالحج والصوم ، ويتمكن الناس من بقية الشعائر كالصلة ورعاية الأسر وغيرها من الأوامر التي أمر الله بها ولا يمكن إقامتها إلا مع تمام الأمن .

وبالأمن تسير الحياة الدنيا ، فيُعمر الكون ، وتزدهر المجتمعات ، وتطيب المعيشة .

وإن الدول والحكومات لتبذل قصارى جهدها في سبيل تحقيق أمنها فتسخر كل خدماتها ومرافقها لإجل تحقيق هذا المقصود الأهمّ في حياة أفرادها .

ولقد سلك الإسلام طرقًا متعددة ومتنوعة في سبيل تحقيق هذه القضية التي هي الأهم للبشرية ، وكل منصف يعلم أنها الطرق الأنجح والنفع للبلاد والعباد.

ومن ذلك :

تذكير الناس جميعاً بأهمية الأمن ومنزلته ومكانته في حياة الناس ، فتأمل في كتاب الله كيف ذكّر اللهُ قريشًا بهذه النعمة التي كانت مفقودة في ذلك الزمان ، فكان المرء لا يأمن على نفسه أو عرضه أو ماله وقد تمتع بهذا أهل الحرم وحدهم وقد ذكر هذا في مواضع من كتابه ، مذكرهم في عظيم منته عليهم فقال تعالى :

" لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (4) "

و قال سبحانه وتعالى : " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (67 ) العنكبوت .

ومن ذلك تذكير الناس بأهمية الأمن على الفرد والمجتمع والأمة ، يقول علية الصلاة والسلام :

" مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا " .

فانظر كيف جعل الأمن في المكان والصحة في الجسد ووجود قوت اليوم فقط يعدل حيازة الدنيا بأسرها .

يظن بعض الناس أن أعظم ما يمكن تملكّه هو المال أو كثرة العشيرة أو حماية الأتباع ، والحق أنّ أعظم نعمة يمكن أن تُحقق للمرء هي نعمة الأمن وإلا فكيف يعيش المرء هانئاً بمعيشته ، متلذذًا بطعامه وشرابه وهو خائف وجِل !

ومن أساليب الإسلام في حفظ الأمن تذكير الناس بخطورة كفران النعم وأنّها سبب لفقدان الأمن الذي ينعم بها الناس وتغيّر أحوالهم إلى الحالة التي تسوء فقال سبحانه وتعالى :

" وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " ( 112) النحل .

عباد الله /

إن الأمن لا يتلاعب به إلا ضال مضل قد فسد دينُه وضل عقلُه ، وانحرف تفكيره .

ولذا أمرت الشريعة الجميع بالحفاظ على مقومات الأمن ، والحذر من أن ينتهك أمر يصاب بشطط ، فأمرت بطاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه ، ولزوم الجماعة وعدم ومفارقتها لأنّهما السبب العظيم والعقد الراسخ في استباب الأمن ، يقول علية الصلاة والسلام :

" من فارق الجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية "

وقال :

" مَن خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عَمِّية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقتل فقتلته جاهلية، ومن خرج على أُمَّتي يضرب بَرَّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه " رواه الإمام مسلم في صحيحه .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه بسند صحيح: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث لا يغلّ عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم دعواهم تحيط من ورائهم “

وقال الإمام مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، و تحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

قال أهل العلم : والمقصود بمفارقة الجماعة هنا ، الجماعة التي لها إمام منصب فلا يجوز الخروج على هذا الإمام ولا تنكث بيعته .

والأحاديث وتقريرات علماء السُنّة التي تحث على لزوم الجماعة وعدم الخروج على ولاة الأمر كثيرة لا تُحصى .

أيها المسلمون /

لقد نبتت نابتة في عصرنا من الفرقة الضالة التي لها جذور تاريخية في الضلال من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فرقة الخوارج ، الذين خرجوا أول ما خرجوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتهم كبيرُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعدم العدل حتى همّ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، ثم خرجوا على عثمان رضي الله عنه ثم على علي بل وقتلوا هذين الخلفتين الراشدين ، ولا يزال خروجهم على الولاة ومفارقة الجماعة إلى يومنا هذا .

وهؤلاء يقومون بهذا العمل لضلالهم ولفساد عقولهم ولغرورهم بأنفسهم وتكبرهم على غيرهم ، فكبيرهم تكبّر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتباعه وورثوا هذا الكبر ، فتكبروا على خير الناس في زمانهم فقتلوا اثنين من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يزالوا يقتلون المسلمين في عصور كثيرة حتى اصطلى زماننا بضلالهم وانحرافهم فصاروا يقتلون المسلمين ويؤذون المؤمنين ويشوهون الإسلام ويفسدون في الأرض أيما فساد .

ولخطورة هذه الفرقة وشدة ضررها على المسلمين ، قال أهل العلم : لم يأت في السنة تحذير من فرقة بعينها كما جاء في التحذير من هؤلاء الخوارج لشدة ضررهم على الأمة والتباس أمرهم على الناس واغترار البعض بهم إذ ظاهرهم الصلاح وباطنهم الفساد والضلال .

ولكن من نظر في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم متجردًا طالبًا للحق وضحت له الأمور وبانت له الحقائق وقد وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفات لا تلتبس على طالب الحق ، فمن ذلك أنهم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، فهم شباب أغرار قد اغتروا بحماسهم وأعجبوا بآرائهم ولم يلتفتوا لكبارهم وعلماء أمتهم فقال علية الصلاة والسلام في وصفهم :

" حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام "

ومن صفاتهم إعجابهم بآرائهم وضلالهم في فهم كتاب الله تعالى يقول عليه الصلاة والسلام في وصفهم :

" يقرأون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم "

ويقول :

" يتلون كتاب الله رطبًا لا يتجاوز حناجرهم "

قال شيخ الإسلام :

وكانت البدعة الأولى مثل بدعة الخوارج إنما هي سوء فهمهم للقرآن ، لم يقصدوا معارضة لكن فهموا منه ما لم يدل عليه ، ولذا قال ابن عمر :

" انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين "

وقال ابن حجر :

" كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه ويستبدون برأيهم "

ومن صفاتهم الشنيعة :

تكفير المسلمين واستباحة الدماء قال عنهم صلى الله عليه وسلم : " يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان "

قال ابن تيمية :

" وهذا من أعظم ما ذم به النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج ولانغماسهم في الضلال فإنهم يستحلون دماء أهل الإسلام أكثر من استحلالهم لدماء الكفار "

قال شيخ الإسلام - أيضاً - :

" ويكفّرون من خالفهم في بدعتهم ، ويستحلون دمه وماله ، وهذا حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها "

فهذه بعض صفاتهم التي ينبغي علمها والحذر منها .

اللهم جنبنا والمسلمين سبيل الغواية واسلك بنا طريق الرشاد .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

.......

الخطبة الثانية

أيها المسلمون /

وفي مسلسل ضلال هؤلاء الخوارج وهذه الفرقة المارقة فقد أقدم ثلاثة منهم في الأسبوع الماضي على قتل رجل من رجال أمننا ، الحارسين على حفظ بيضة الإسلام في بلادنا ومعه وافد مسلم فعاقبهم الله بعقوبة عاجلة إذ قُتل اثنان منهم شر ميتة وفي أسوء حال ، وهذا هو الضلال المبين إذ بعملهم هذا ارتكبوا عدة جرائم أولها :

قتل أنفسًا بريئة معصومة الدم وقد جاء الويل والعذاب لمن أقدم على هذا الفعل الشنيع ، كما جاء بقوله تعالى :" وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93) سورة النساء

وقال سبحانه : " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) سورة الفرقان .

 وقال عليه الصلاة والسلام : " لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما"

وقال ابن عمر رضي الله عنه ( إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ )

فأي جرم يرتكبه هؤلاء على الدماء الطاهرة الزكية لولا ضلالهم وسوء طويتهم .

وأجرموا أيضًا في حق أنفسهم فقتلوا أنفسهم أشنع قتلة والله تعالى يقول :

" وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) سورة النساء .

وهم بفعلهم هذا قد آذوا والديهم وأهليهم فأدخلوا عليهم الحزن والألم بسلوكهم هذا الطريق المنحرف والسبيل الضال .

وبفعلهم هذا أيضًا قد شوهوا صورة الإسلام الذي يدعوا إلى الألفة والمحبة .

وبفعلهم هذا أرادوا الإخلال بالأمن الذي يدعوا له لهذا الدين ويحث عليه .

وتبعات هذه الأعمال الإجرامية لا تنتهي ولذا جاءت الشريعة بالتحذير منها .

عباد الله /

ينبغي أن يكون المجتمع بأسره لُحمة واحدة يتعاون الجميع على تحقيق مقاصد الإسلام فيه من طاعة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج على الجماعة أو ولي أمرهم .

وعلينا أن نكون جميعًا يدا واحدة في فضح هؤلاء وهتك أستارهم والتحذير منهم كما أمرنا الله ورسوله ليعيش الجميع الحياة الطيبة التي أرادها الله لعباده .

اللهم احفظ علينا أمننا وأدم علينا عافيتك ، اللهم احفظ ووفق ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين وولي عهده وحكومتنا الرشدة .

اللهم انصر جنودنا المرابطين في جنوب بلادنا واحفظهم بحفظهم واخذل أعداء بلادنا ...

كتبها /

عادل بن عبدالعزيز المحلاوي

جامع مرزوق الصيدلاني / أملج

الجمعة ١٤٣٩/١٠/٢٩